اي استناد الى الفتوحات الاسلامية لتأكيد الحق التاريخي ، هو استناد واه ، والا تساوت اسبانيا بفلسطين • وهنا تتوجب العودة الى اساس اخر ، وهو تغريب المنطقة السابق للغزو الموسوي لفلسطين ، وبذا تعطى فلسطين حق ملكية تراث خمسة واربعين قرنا ، بدلا عن ثلاثة عشر قرنا مع وضع الفتوحات الاسلامية في حساب الزيادة هذه • وقد وقعت قيادة الحركة الوطنية انذاك وما زال العديد من الكتاب المعاصرين ايضا يقعون ، في نفس الحدود ـ المصيدة التي رسمتها بريطانيا والصهيونية، عند الدفاع عن عروبة فلسطين •

اما اللفظ الثاني (الطائفي) ، فهو تشويه يوضع فيه الطرف الفلسطيني في خانة الهزيمة من حيث الاقدمية ، اذ ان الدين اليهودي ـ تاريخيا ـ هو اقدم بكثير من الاسلام •

وعلى هامش هذين الادعائين ، ثابر البريطانيون والصهاينة على تصوير اطماعهما في فلسطين بانها محاولة انقاذها من الخراب والعزلة والتخلف ، وانهما سيأتيان (بشعب) مزارع يحيلها الى جنات غناء ! هنا يفشل المقياس العنصري ، الذي يجعل التخلف سمة ملازمة لشعب من الشعوب ، والتقدم سمة ملازمة (لشعب) اخر يجري خلقه ، ووضعه كوكيل فرعي للمصالح الاستعمارية • انه المقياس الذي يجرد الشعب الفلسطيني من واقع تطوره الاجتماعي والاقتصادي ، ويراه ، بعيدا عن وقائع الحياة وقوانين التطور، اداة معرقلة للتحديث •

المرحلة الثالثة

١٨٩٧ ـ ١٩٢١ م

الاطماع البريطانية من التخطيط الى التحقيق

دللت وقائع النشاط البريطاني منذ ١٨٣٨ الى ١٨٩٧ ، على اعطاء الافضلية لفلسطين، خلال فترة احياء الحلم الصهيوني الاستعماري • وبالتالي فان موقف هرتزل في المؤتمر الصهيوني الاول ، في رفض اوغندا والاصرار على فلسطين ، كان يتجاوب مع المخطط البريطاني وليس نقيضا له •

كما اصبح من الثابت ان ترشيح اراضي عدة شعوب اخرى في اوغندا ، قبرص ، الارجنتين ، انجولا، شبه جزيرة سيناء ، الخليج العربي لم يكن على حساب استمرار القول بافضلية فلسطين ، وفق المسعى الانجليزي • فمثل هذه الافضلية تتفق مع الاطماع الصهيونية ، ومع النشاط الاستعماري البريطاني السابق •

وبتبلور الحركة الصهيونية ، كقوة سياسية منظمة ، منذ مؤتمر بال بسويسرا عام١٨٩٧، اصبح بمقدور بريطانيا استثمار هذه الاداة المتبلورة بما يخدم اطماعها الاستعمارية على النطاق الدولي •

وفيما قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها ، انحصر النشاط الصهيوني في التركيز على فلسطين تحت الاشراف البريطاني ، والسعي لكسب اعتراف الدول الاستعمارية الاخرى ، مقابل الاستعداد لتأدية بعض الخدمات • كل ذلك بهدف الايحاء « ان اليهود هم الذين اعطوا المادة والحقيقة لفكرة الحمية البريطانية على فلسطين والتي اتخذت فيما بعد شكل الانتداب ...» كما ادعى وايزمن في مذكراته (٣٠)